

الذاكرة والتاريخ



ساذج نصّار..

ريادة الوطنية النسائية بالكلمة والموقف

-
-
-
-
-
-

ساذج نصّار .. ريادة الوطنية النسائية بالكلمة والموقف



نوار ثابت

على سبيل التقديم..

تضيء هذه المادة على أفكار الأديبة والرائدة الفلسطينية ساذج نصّار ومواقفها الوطنية عبر تتبع نصوصها في «صحيفة النساء» الملحقة بـ «جريدة الكرمل» إحدى الصحف الفلسطينية خلال الانتداب البريطاني.

اهتمّت نصّار بالمرأة الفلسطينية، وبالنهوض بواقعها على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بحيث يسهل على نظرة معاصرة قاصرة أن تصنّفها في خانة النسوية، غير أن النسوية لم تكن قد تبلورت حينها في مقولاتها المعاصرة، بينما بلورت ساذج من خلال كتابتها موقفًا نسائيًا متقدمًا قائمًا على ضرورة النهوض بالنساء الفلسطينيات وواقعهنّ، لا عبر الانشغال بقضايا عابرة للثقافات، بل عبر الاستغراق في القضية الوطنية المحلية باعتبارها قضية النساء كما هي قضية الرجال، ثمّ بالانطلاق من الأرضية الثقافية المحليّة لا بالقطيعة معها.

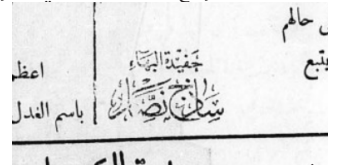
يمكن أن تستلهم نصّار، وإنتاجها الأدبي، لتكون مثالاً للمرأة الفلسطينية المعاصرة، وللرائدة الفلسطينية المعاصرة، من حيث تقديمها تلك الرؤية التي يمكن تجديدها وإعادة إحيائها واستلهاها لتطوير واقع النساء المعاصر، عبر قضيتهنّ لا بالقفز عنها.

• التحرير

إنَّ أروع ما نتمثِّله في أديبتنا القديرة هو الثورة على كل ما تراه خاطئاً ومستحقاً للثورة؛ فهي ثائرة على ما بلى من تقاليد، ثائرة على القوى الغاشمة، وعلى الظلم أُنّى كان... فتسمع ذلك في مقالاتها التي يلهبها الإخلاص الفياض وتذيبها العاطفة، وفي إثرهما صوت العاصفة يلعلع ويدوي في السطور. وهذا التأثير الذي تحدّثه الكتابة في النفوس هو أقوى دليل على بيان قولها وبلاغتها. جملة مقتضبة قصيرة تحضن وتلمّ، فتبلغ بها المراد ويتحقق الأمل. ثمّ هي تضمّن كتاباتها أمثالاً سائرةً وتشابيه رائعةً تبدها بإيجاز ويصقلها الأسلوب فتبرز كالخال في وجنة الحسناء جذاباً فاتناً. وذكاؤها نيّر «تلتقطها وهي طائفة» كما يقولون، و«قد كان صاحب الكرمل يتلو مقالاً وكانت ترمي كلمات في مواطن خاصّة، والأستاذ سائر في مقالاته، فتسقط [الكلمات] في محلها كما يسقط الأمل في قلب الهائم، أو النحلة على الزهرة الجميلة. وهذا الذكاء يكهرب القول والكتابة فيلمع لمعان النور ويبتسم تبسم الفجر. يتساقط اللفظ من فمها مشرقاً واضحاً ... فترى أدب الكاتبة ... أدبٌ يمليه الإخلاص والتمرد والذكاء فيتهادى في حقول الصحف والمجلات كما تتهدى المليحة بين الحدائق الفيحاء تكسبها بهاء وجمالاً»¹.

ساذج نصار «حفيدة البهاء»²، قرينة مؤسس جريدة الكرمل الحيفاوية³، نجيب نصار⁴. بدأت ساذج تنشر في عام 1922، المقالات التاريخية والاجتماعية والنسوية. في عام 1941 تسلمت رئاسة التحرير حتى عام 1944، إلى أن رفضت السلطات البريطانية إعطاء رخصة جديدة للصحيفة بموجب قانون أنظمة الدفاع؛ إذ كانت صحيفة الكرمل إحدى الصحف الثائرة التي فتحت العيون على وعد بلفور.

1 أديبتنا في الميزان. مرآة الشرق، 14 شباط / فبراير 1931.
2 هكذا كانت توقع مقالاتها كما في الصورة أدناه



3 أسست جريدة الكرمل عام 1908، على يد نجيب نصار، أي أنها صحيفة عثمانية انتدابية، كانت أسبوعية أول تأسيسها، ركزت على السياسة والقضايا الاجتماعية، كما خصص ملحق أسبوعي لقضايا النساء بعنوان «النهضة النسائية» ومن ثم سُمي «صحيفة النساء». أغلقت جريدة الكرمل بسبب خلافات مع السلطات العثمانية في الأعوام 1913/1914، ثم جددت الجريدة نشاطها في فترة الانتداب البريطاني بين السنوات 1920-1940. في عام 1934 تغير اسم الجريدة ليصبح «الكرمل الجديد»، متخذاً خطأ معادياً للصهيونية وللانتداب. توقفت عن الصدور في عام 1942.

4 ولد نجيب نصار في عام 1865 في عين عنوب اللبنانية، وهو أديب وصحفي فلسطيني، أسس نجيب نصار عام 1908 في حيفا جريدة «الكرمل» التي صارت تصدر مرتين في الأسبوع، وحذر من مخاطر الصهيونية، عطلت السلطات العثمانية صحيفته في حزيران 1909 لمدة شهرين، بعد حملة شنّها الصهيونيون عليه، وبأمر من وزارة العدلية في إسطنبول سنة 1910 حاكمته السلطات العثمانية ولكن برأته المحكمة من تهمة تفرقة العناصر وتهييج الأفكار. له مجموعة مؤلفات منها: «الصهيونية .. تاريخها، غرضها، وأهميتها»، في عام 1911، و«نجدة العرب أو شمم العرب» سنة 1920، و«في ذمة العرب» سنة 1920، و«الزراعة الجافة» سنة 1927، و«رواية مفلح الفسائي» سنة 1931، و«الرجل في سيرة الملك عبد العزيز آل سعود» سنة 1936.

جموعة بنادق جميلة ومضمونة من اشهر فبارك العالم

أطرب اهل بيتك بشراء
فونو نرافات جرامافون
اصلي مكفول للحياة
من محلات بوتاجي
بجيفا

الكليل
EL-CARMEL

December Sunday 5 1926. Vol 18 No 1212 حيفا الاحد في ٥ كانون اول سنة ١٩٢٦ و ٣٠ جماد اول سنة ١٣٤٥ العدد ١٢١٢

اخبار محلات بوتاجي بجيفا

اميل بوتاجي

من حيفا الى بغداد

رسالة من الانسة ام كلثوم
جناب وكيل شركة جرامافون المحترم
بعد التحية والاحترام اقدم لحضرتكم شاكراً لكم
عنتاءكم في نقل صوتي على اسطوانات شركة الجرامافون
ليعتد - ولم بدعني على تقديم خطاتي هذا الاتي لبراع
عينات اسطواناتي فثأ كوني اعجاب هذه الشركة سبباً تقياً
الاصوات واللقان عملها حيث لا يمكن نقل اي صوت بحالته
الطبيعية اكثر من ذلك وختاماً اكرر شكري وتفضلوا
بقبول عظيم احتراماتي
ام كلثوم ابراهيم

نوفمبر ١٩٢٦
الاهرام الخاص - علمت من بعض المصادر الخاصة ان اعدي
لوزية لغراض الحكومات المصرية والفلسطينية والعراقية لانشاء سكة حديدية من
اد قمر بجيفا - عمان - فاذا تم الاتفاق بين الفريقين فان العمل يبدأ في الربيع القادم
تدول على انه سيكون لنا حيفا شأن عظيم في المستقبل - اكرامنا المستر بالدور
مخراً ان قرض فلسطين سيصدر التصديق عليه قريباً ليسير تقدمه مثل هدية عيد
اشي المنقصة - وسيفتح قسم منه لبناء مرفأ ورسم آخر لوفاء دين الادارة - مسدة
كزي وقسم لبناء ورشات ولتحسين وتكبير مصلحة سكك حديد فلسطين - ثم سيبدأ
الميران الجوي بين لندن والهند ويمر على فلسطين والان يظهر ان فريقاً يهتم لمد
كثرون واصل بين البحر المتوسط والهند - كل هذه الاخبار لتعش الامال وتدل
وضع اعجاب عظيم في الوقت الحاضر - ونحن شاعرون بمسؤوليتنا تجاه زبائننا
ن يزداد عددهم كل يوم ولهذا نردنا دائماً مستعدين لخدمة القربى والبعيد الكبير
وقت
دواماً يسرکم
اميل بوتاجي

امرعو الساعها
غره مسلسلة
٢ - ٧٢ (اخذت صوتك من روجي)
اسطوانات جديدة ظهرت لأول مرة من الانسة ام كلثوم بسعر الاسطوانة ٢٨ غرش .
«مونولوج»
اخذت صوتك من روجي وحزن لمنك من روجي

ورد لنا ارسالية بطاريات انكليزية ماركة البنت الشهيرة
هذه البطاريات مضمونة وحسنها
EVER READY

كانت ساذج رمزاً للتحدي والصبر وقوة الاحتمال، وذلك ما نراه في رواية مفلح الغساني⁵، وقصة اختفاء نجيب نصار من جور الإنجليز. وقد أسست في عام 1930، بالاشتراك مع السيدة مريم خليل عويضة ومجموعة من السيدات، في حيفا، جمعية الاتحاد النسائي العربي، وكانت عضواً في جمعية نهضة الفتاة التي تأسست في 1933.

كانت ساذج تكتب وتخطب وتقود المظاهرات وتحضر المؤتمرات. قبيل النكبة في عام 1948 بعد وفاة زوجها ودفنه في الناصرة هاجرت إلى لبنان مع ولدها فاروق الذي عمل في مجال الصحافة. واستمرت في العمل بالصحافة في الجرائد اللبنانية والسورية، مخلفة وراءها تاريخاً من النضال والعمل⁶. اعتقلت تسعة أشهر في عام 1941 وكانت أول سجين في العالم العربي⁷.

5 نجيب نصار، رواية مفلح الغساني: أو صفحة من صفحات الحرب العالمية، 1930.
6 نساء من بلدي، الاتحاد 5 أيار 1995
7 الصنارة، 13 نيسان/أبريل 1990.

وإن ممّا نذكره لساذج، حفيذة البهاء، مقالاتها في ملحق جريدة الكرمل التي تولّت تحريرها، وكان هذا الملحق مخصّصاً للنساء، فإنّما أن يحويّ مقالات بأقلامهنّ، وخصوصاً ساذج، أو ردوداً على رسائل تصل لها، وتعليقاً عليها، أو يورد أخباراً من صحف غربية كالديلي تلغراف. وفي بعض الأحيان مقولات أو قصصاً عن النساء. ولكن المحتوى في المجمل كان محتويّ نهضويّ يقصد إلى تطوير وعي المرأة بذاتها، وهويتها، وقضيتها، إذ إن ساذج كانت تجمع بين التركيز على القضايا التحررية والسياسية بالإضافة إلى الاجتماعية، فتطرق باب المشاركة والحشد والدفاع عن كرامة الأمة، ومن ذلك مقالها في ملحق صحيفة النساء المعنون بـ «إلى السيدات الفلسطينيات»: «أتى المندوب السامي السير (تشانسلر) واتّهم في منشوره العرب «يعني أزواجكن وأبناءكن وذوي القربى» بالوحشية والهمجية في حين لم يكونوا يقاتلون إلا بالعصي والحجارة دفاعاً عن أنفسهم وحقوقهم وأوطانهم ومقدساتهم، بينما كان خصومهم يردون برصاص البنادق ومسدساتهم وقذائفهم ... نحن معشر النساء والبنات يجول في عروقنا نفس الدم الذي يجول في عروق الرجال فيجب ألا نتخلف عن الرجال في العمل لسلامة الوطن وإنقاذه ... لا يجوز أن تترك اللبؤة الأسد يعمل وحده للمدافعة عن العرين والأشبال، وهي تقف وقفة المتفرج الجامد ... نحن نصف مجموعة الأمة، وأعمال الرجال الوطنية تبقى ناقصةً إذا لم ترافقها أعمالكن...».

الكرمل الجديد السبت في ٥-٦-٣٧ ١٠

صحيفة المرأة

أيها الزوج - أيك

زوجها

٢ - ليكن لك طفلان على الأقل واجتهدي ان لا يزيد عدد ابناك على ثلاثة وان تكن ولادتك لها في ايام زواجك الاولى وانت مملوءة بالقوة والشباب وحاولي ان يكون ميعاد وضعك في اوائل الربيع حتى نتمتع مع طفلك بجودائي صحبي

٣ - اجتهدي ان تكوني وزوجك في حالة صحية جيدة ذلك يفيد طفلك اكبر فائدة

ان تعتاد الشكوى من صحاك فتملا زوجتك هو ما . فان . كنت مريضا حقا فاذهب الى طبيب وان تعتاد السهر ثم تستيقظ في الصباح خائرا فتشكو وتلوم بغير حق وان تعتاد تناول الشاي في ساعة متأخرة فتسهر وتتملل بالباطل

وفي مواضع أخرى تدعو ساذج النساء العربيات للتطلع إلى تجربة النساء الغربيات، لا في المأكل والملبس ولكن في العمل والجدّ والاجتهاد، والاستفادة من تجربتهن: «تقلدن النساء الغربيات في كل حركة من حركاتهن فلم لا تقلدنهن في العمل للمصلحة العامة وللحفاظة على الوطن المقدس؟»⁸. وهي كذلك تشيد بالأعمال الوطنية التي قامت بها النساء في العشرينيات من مظاهرات واعتصامات في وجه المندوب السامي، وكذلك حملات التبرعات لجمع المال، ومقاطعة بضائع العدو، وغيرها من الجمعيات التي أسسها وأسندن فيها الحركة الوطنية.

إن لغة ساذج لا تكفّ عن كونها حماسيةً، فيها دعوات صريحة للدفاع عن الوطن والقيام بالواجب، وهي امرأة مؤثرة تعلم جيدًا صدى كلماتها عندما توجهها للنساء: «الوطن يناديكن ... فلبين نداءه عاجلاً، واجمعن المال واشترين الأراضي وألّفن مشاغل الخياطة واستغنين عن مصنوعات الخصوم ونادين بعضكن بلزوم التعاون والتضامن مع أبناء الوطن»⁹.



وفي موضع آخر تعلق ساذج على دعوة موسليني لمصانع الخياطة والمنسوجات توحيد الأزياء في إيطاليا في طراز معين حتى لا يُفنين أوقاتهنّ وأموالهنّ في دور الأزياء وفي اتباع الأقمشة الباهظة، وأن مشروعه معرض للفشل في ضوء عقلية النساء الإيطاليات، وهي توجه رسالة إلى النساء العربيات وتقول بأنهنّ سابقات على أفكار موسليني إذ إن لباس المرأة منذ الجاهلية وصدّر الإسلام كان محتشماً ومتواضعاً وبسيطاً. وأن الأزياء ليست من المدنية في شيء: «وإن تقليدنا

8 الكرمل، إلى السيدات العربيات، 5 كانون الثاني/يناير 1929.
9 المرجع نفسه.

للغربيين كتقليد القردة للإنسان يضّر باقتصادياتنا وبأدبياتنا وبأخلاقنا وينحرف بنا عن تقاليدنا الرفيعة ويحول دون نهضتنا ورقينا»¹⁰.

كما وتشجع النساء على العمل والإنتاج والاستقلال الاقتصادي، وتعلّم المهن والمهارات المختلفة، وترى من الواجب تعويد المرأة على حبّ العلم والاعتماد على النفس، وبالدرجة الأولى المعلمات ومديرات المدارس. و«ليس أفضل من تعليم البنات تربية الطيور والنحل ليربحن منها مع الخياطة والأشغال اليدوية»¹¹. وكانت ساذج تكتب افتتاحيتها في كل حدث سياسي أو عسكري، تدعو وتدافع وتشجب وتحشد النساء، وتحاول بذلك جمعهنّ على العمل والاجتهاد والإنتاج والتعلم والوقوف جنباً إلى جنب مع الرجل للدفاع عن الوطن.

10 المرجع نفسه، توحيد أرباء النساء، 22 آب/أغسطس 1926.
11 المرجع نفسه، إلى ابنة بلادي، 5 كانون الأول/ديسمبر 1926.